Journal Of the Iraqia University (76-5) August (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

المذكرات والعدالة البديلة في رواية "تراب الماس

الكاتب المسؤول : أ. د . يحيى معروف ، جامعة الرازي ، كرمانشاه، ايران

ظافر جابر كاظم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الرازي ، كرمانشاه ، ايران

thaferjaber8@gmail.com
y.marof@yahoo.com

Memoirs and Alternative Justice in the Novel (Diamond Dust)

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة معمقة لمفاهيم "المذكرات "و"العدالة البديلة "في رواية "تراب الماس "للكاتب أحمد مراد، بوصفهما الركيزتين البنائيتين اللذين يقوم عليهما البناء السردي والتطور الدرامي للنص .يعتمد النص الروائي في جوهره على تتبع حياة البطل "طه الزهار"، وهو شاب بسيط يعمل مندوب دعاية طبية لشركة أدوية ويعيش حياة رتيبة يسحقها التهميش، تنقلب حياته رأساً على عقب إثر مقتل والده القعيد "حسين الزهار "في ظروف غامضة داخل شقته .يكمن الكشف الجوهري للرواية في عثور طه على مذكرات والده السرية، التي تعود عقوداً إلى الوراء، لتتحول هذه الأوراق من مجرد سجل تاريخي وذكريات ساكنة إلى "محرك إجرائي "فاعل يكشف الستار عن شبكة فساد هيكلية معقدة في المجتمع، نخرت بنيان القانون الرسمي وحصنت رموزاً وشخصيات نافذة عجز القضاء عن مساسهم بسبب نفوذهم السياسي والمالي والأمني السطحي. تتجلى الأهمية السردية "والتحليلية للبحث في تتبع كيفية انتقال طه من السكون والامتثال القانوني التقليدي إلى صناعة القصاص الصارم بيده، مستعيناً بمادة "تراب الماس القاتلة والصامتة، التي أورثه إياها والده، بوصفها أداة جوهرية لتطبيق فلسفة "العدالة البديلة ."ويستعرض البحث أمثلة حية من تفاصيل القصة والجرائم التطهيرية المتسلسلة التي ارتكبها طه؛ بدءاً من تصفيته لـ "هاني برجاس) "ابن السياس النافذ والقاضي الذي استغل سلطته وتورط في أبشع الجرائم والانتهاكات متمتعاً بالحصانة الكاملة وهو القاتل الفعلي للأب(، ومروراً بالإعلامي الشهير النرجسي "شريف مراد) "الذي وظف منبره التلفزيوني لتزييف وعي الرأي العام وتغطية ممارسات الفساد والشذوذ(، وصولاً إلى رجل الأعمال والضابط الفاسد "وليد سلطان "المستغل الذي حاول ابتزاز طه والتحكم بمصير جيرانه ومصير الفتاة سارة .تبرز هذه الثنائية الجدلية عبر تتبع التحولات النفسية والفكرية الحادة لشخصية البطل، مما يجعل العمل وثيقة نقدية تحلل انهيار الثقة المجتمعية في مؤسسات العدالة الرسمية، وتوصل فلسفياً لجدلية العلاقة بين مشروطة القانون وشرعية .الحق الصامد في بيئة قمعية مأزومة **الكلمات المفتاحية** :العدالة البديلة ،المذكرات ،تراب الماس ،احمد مراد ،السرد النفسي،الفساد الاجتماعي ،الوعي الفردي

Abstract

This study offers a comprehensive and systematic examination of the concepts of "Diaries" and "Alternative Justice" in Ahmed Mourad's novel Diamond Dust (Turab el-Mas), analyzing them as the core structural and thematic components upon which the narrative architecture and dramatic progression are built. The narrative traces the dramatic transformation of the protagonist, Taha el-Zahar, a marginalized medical representative whose routine life is shattered by the brutal murder of his paralyzed father, Hussein el-Zahar. The core turning point occurs when Taha discovers his father's secret diaries, which strategically transform from passive historical records into a dynamic "procedural catalyst." These diaries uncover a deeply entrenched, systemic sociopolitical corruption, exposing influential figures who are heavily protected by institutional immunity and untouched by official judicial systems due to their vast wealth and administrative power.The research deconstructs the textual mechanisms through which Taha transitions from a submissive individual into a self-appointed arbiter of justice, utilizing "diamond dust"—a silent, lethal chemical substance—as an instrument of retribution. This study incorporates specific literary illustrations and examples from the plot, analyzing Taha's systematic elimination of corrupt figures, such as Hani Bergas (a powerful political figure and judge who committed heinous crimes and murdered Taha's father under official protection), Sherif Mourad (a prominent media tycoon who manipulated public opinion to mask institutional decay), and Walid Sultan, the opportunistic corrupt businessman and officer. By employing

a descriptive-analytical approach, the study examines the dialectical relationship between the diaries as an epistemological tool of revelation and alternative justice as an existential act of moral reclamation. Ultimately, the study demonstrates how the novel functions as an essential critical inquiry into the decay of institutional justice, the collapse of public trust, and the complex philosophical dilemma between legal compliance and moral legitimacy in a compromised society.**Keywords:** Alternative Justice, Memoirs, Diamond Dust, Ahmed Mourad, Psychological Narrative, Social Corruption, Individual Consciousness.

المقدمة

تمثل الرواية العربية المعاصرة فضاءً معرفياً لا يكتفي بمحاكاة الواقع المرئي، بل يعمل على تفكيك بنية المؤسسات الاجتماعية، السياسية، والقانونية عبر تقنيات سردية متطورة تتماشى مع عمق الأزمات المعاصرة .وتبرز رواية "تراب الماس "للكاتب أحمد مراد كنموذج استثنائي وفريد في هذا المسار الأدبي، حيث تتجاوز حدود النوع البوليسي التقليدية القائمة على كشف الجريمة لتصبح وثيقة نقدية صارمة تحلل مأزق "العدالة "في مجتمع تآكلت فيه الثقة بالمنظومة الرسمية .إن القضية الجوهرية التي يطرحها النص ليست مجرد ملاحقة لقاتل مجهول أو حل لغز مشوق، بل هي طرح جريء لإشكالية وجودية وأخلاقية بالغة التعقيد :متى يصبح "القصاص الفردي) "العدالة البديلة (ضرورة حتمية وخلاصاً وحيداً حين يصمت القانون الرسمي أو يتواطأ مع رموز الفساد؟ ومن هنا، ينطلق هذا البحث لتشريح البنية السردية والدلالية للعمل، مستنداً إلى تفاصيل الحبكة لربط الأداة الأدبية بالفلسفة العقابية والاجتماعية التي يتبناها النص الروائي.تتمحور حبكة الرواية حول شخصية "طه حسين الزهار"، وهو شاب يعيش على هامش الحياة في مدينة القاهرة، يعمل مندوب دعاية طبية لشركة أدوية، ويعاني يومياً من ذل الوظيفة الرتيبة وسحق الكرامة من قِبل رؤسائه والأطباء المستغلين، فضلاً عن تحمله مسؤولية رعاية والده المقعد "حسين الزهار "الذي كان يعمل مدرساً للتاريخ .تتفجر الأحداث دراماتيكياً وبشكل مأساوي عندما يعود طه ذات يوم إلى منزله ليجد والده العاجز مقتولاً بوحشية في فراشه مخنوقاً ومضروباً دون وجود أي مؤشرات لسرقة الشقة، مما يشير إلى دافع انتقامي غامض .هذا الحدث المفصلي يمثل نقطة التحول الوجودي في النص، إذ يقود طه أثناء تنظيف وتفتيش أغراض والده الراحل إلى العثور على مذكرات سرية للغاية مخبأة بعناية، وبجوارها علبة قديمة تحتوي على مسحوق بلوري صامت وفتاك يُعرف بـ "تراب الماس ."هذا المركب ،الكيميائي الفريد يستقر في جدار أمعاء الضحية ويحدث ثقوباً مجهرية تؤدي إلى الوفاة ببطء بعد أسابيع دون ترك أي أثر سمي في تشريح الجثة ،"مما يجعله السلاح المثالي لتنفيذ أحكام الموت السرية دون ملاحقة قضائية.تتأسس بنية الرواية على الثنائية السردية الحادة التي تقودها "المذكرات حيث تفتح أوراق الأب طيات تاريخ سري ممتد من حقبة الخمسينات والستينات وعلاقات والده القديمة مع شخصيات يهودية مثل "ليتو "وصديقه ،سيرجيو"، كاشفة عن الوجه القبيح والدموي لرموز المجتمع المعاصر .يكتشف طه عبر القراءة المتأنية أن والده لم يكن مجرد رجل عاجز ومستسلم" بل كان مقتصاً سرياً قام بتصفية شخصيات فاسدة تاريخياً عجز القانون عن ردعها، وأن مقتله جاء على يد الطاغية "هاني برجاس) "ابن السياس النافذ والقاضي السابق (الذي اكتشف أن الأب يملك وثائق تدينه .لا تعمل المذكرات هنا كأداة لاسترجاع الذكرى فحسب، بل تشتغل كـ "محرك إجرائي "يقود البطل إلى وضع قائمة تصفية تطهيرية تشمل "هاني برجاس "الذي انتهك الحرمات، والإعلامي النرجسي "شريف مراد "الذي يسخر .منبره التلفزيوني لتزييف وعي الجماهير، ورجل الأعمال والضابط الفاسد "وليد سلطان "الذي يتاجر بالسلاح والمخدرات ويسحق الأبرياء والضعفاء يسعى هذا البحث، من خلال اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، إلى قراءة الرواية بوصفها "بنية دلالية "متكاملة تربط النص بالواقع الاجتماعي المأزوم .سنقوم في المباحث التالية بتتبع كيف تحولت المذكرات من أوراق صفراء منسية إلى "دينامو "يحرك وعي طه ويدفعه لخوض سلسلة من "جرائم القصاص المتسلسلة، محولاً إياه من مواطن مسلوب الإرادة إلى قاضٍ سري وعادل منتقم .وسندرس كيف أسس الكاتب لفلسفة "العدالة البديلة عبر رمزية تراب الماس، وتحليل الشخصيات تمثيلاً نفسياً وصراعاً بين الوعي واللاوعي، وصولاً إلى دراسة المكان)مثل البيوت القديمة والزنازين وضيق شوارع القاهرة والمقابر (والزمان كفضاءات تعبر عن مأزق الإنسان المعاصر في مواجهة منظومة الفساد المتجذرة، مستعينين بآراء نقاد .بارزين لتوثيق الطرح الأكاديمي للبحث وجعله مرجعاً وافياً وممتلئاً بالقيمة النقدية السردية

الدراسات السابقة والتعقيب عليها

تعد رواية "تراب الماس "من الأعمال الروائية الحديثة التي استقطبت اهتماماً نقدياً وأكاديمياً واسعاً في الأوساط الأدبية العربية، نظراً لتعدد مستويات التأويل فيها وتشعب قضاياها الفلسفية والاجتماعية .وقد تناولت مجموعة من الدراسات والبحوث هذه الرواية من زوايا متباينة، يمكن استعراض :أبرزها وفق الاتجاهات النقدية التالية لبيان موقع بحثنا الحالي بدقة وثبات

أولاً :استعراض الدراسات السابقة ومناهجها

١. الاتجاه البنيوي والبوليسي)دراسة عز الدين، 2012 :(ركزت دراسة الباحث أحمد عز الدين على الجانب البوليسي في روايات أحمد مراد، حيث حللت بنية "اللغز "وكيفية توظيف الكاتب للحبكة المتشابكة لخدمة عنصر التشويق والإثارة، واصفةً الرواية بأنها "تطويرٌ جذري للرواية البوليسية العربية "من خلال إدخال عناصر الكيمياء والتاريخ .غير أن هذه الدراسة اكتفت بالجانب الشكلي والتقني دون الولوج إلى الأبعاد الفلسفية والاجتماعية .العميقة لظاهرة العدالة البديلة والقصاص الفردي)عز الدين، 2012، ص 45(

٢. الاتجاه النفسي والاجتماعي)دراسة محمود، 2015 :(اتجهت دراسة الباحثة منى محمود نحو "التحليل النفسي "لشخصية طه الزهار، حيث اعتبرت الرواية تجسيداً صارخاً لحالة "الاغتراب الاجتماعي والنفسي "التي يعاني منها الشباب المقهور في ظل هيمنة الطبقات الفاسدة .وقد نجحت الدراسة في ربط تحولات البطل ببيئته الضاغطة، لكنها أغفلت تماماً دور المذكرات التاريخية كعتبة نصية ومحرك بنيوي أساسي للسرد الروائي المعقد .(محمود، 2015، ص 78)

٣. ،الاتجاه الفني والمكاني)دراسة سليمان، 2018 :(بحثت دراسة الدكتور خالد سليمان في دلالات المكان والبيئة الجغرافية في أعمال أحمد مراد مشيرة إلى أن القاهرة القديمة بشوارعها الضيقة ومقابرها تلعب دور "البطل الخفي "الذي يشكل وعي الشخصيات ويوجه مصائرها .ومع ذلك، لم تقم .هذه الدراسة بالربط الضروري بين دلالة الاختناق المكاني ومفهوم الاضطرار إلى القصاص الفردي والتحرر الجوهري)سليمان، 2018، ص 102(

٤. الاتجاه السياسي والأجناسي)دراسة منصور، 2021 :(قدمت الباحثة نادية منصور قراءة في المرجعية السياسية للرواية بوصفها نصاً احتجاجياً يوثق مرحلة ما قبل التغيرات السياسية بمصر، بالإضافة إلى تحليل "الهجنة الأجناسية "التي تمزج بين الأدب البوليسي، الرواية التاريخية، والرواية .النفسية، مبرزةً قدرة الكاتب على دمج هذه الأنواع في نص واحد فذ)منصور، 2021، ص 134(

ثانياً :موقع البحث الحالي والتميز الأكاديمي

تأسيساً على هذا الاستعراض النقدي الشامل، يتبين أن الدراسات السابقة قد قاربت رواية "تراب الماس "من زوايا تحليلية مجزأة ومنفصلة؛ فمنها من انصب اهتمامه على الإثارة البوليسية والحبكة، ومنها من اتجه نحو التحليل النفسي الخالص أو البعد السياسي المباشر .ومن هنا يبرز البحث الحالي كإضافة نوعية وسد لفجوة أكاديمية واضحة؛ إذ لا يكتفي بالجانب البوليسي أو النفسي بشكل منفرد، بل يسعى إلى إحداث "تقاطع منهجي متكامل "بين المذكرات بوصفها وثيقة سردية تاريخية وميتاسردية، وبين فلسفة العدالة البديلة بوصفها فعلاً وجودياً وأخلاقياً تفرضه الضرورة.إن هذا البحث لا يعيد استهلاك الطروحات السابقة، بل يستثمرها كأرضية صلبة لنقل التحليل من مستوى "وصف التقنية واللغز "إلى مستوى "تفكيك فلسفة القصاص العميقة ."نحن هنا بصدد تقديم "وحدة عضوية "محكمة تربط بين الأداة المعرفية التوثيقية)مذكرات الأب حسين الزهار (وبين الفعل ،الأخلاقي التطبيقي)العدالة البديلة لطه الزهار عبر تراب الماس(، مستشهدين بتفاصيل القصة الدقيقة كجرائم تصفية هاني برجاس، شريف مراد ووليد سلطان، مما يمنح البحث عمقاً نقدياً متكاملاً ويملأ الفجوة السردية في فهم النص كبيان احتجاجي ضد تآكل المنظومة القانونية الرسمية .وسيطرة قوى الفساد

المبحث الأول :المذكرات كأداة لاستعادة التاريخ ومحرك السرد

في البنية السردية المعقدة لرواية "تراب الماس"، لا تظهر المذكرات كعنصر تزييني ثانوي أو مجرد وسيلة تقليدية لاسترجاع الأحداث، بل هي البنية التحتية الصلبة والعمود الفقري الذي يرتكز عليه النص بأكمله .إن تحول المذكرات من "أوراق مهملة صفراء "مخبأة في منزل الوالد القعيد)حسين الزهار (إلى "بوصلة ودليل عملي "في حياة الابن)طه(، يمثل انتقالاً نوعياً خطيراً من الذاكرة التاريخية الخام إلى الفعل الإجرائي التطبيقي، حيث .تُعاد صياغة الزمن عبر استحضار الماضي ومواجهته بجرأة)العيد، 2005، ص 45(

أولاً :المذكرات بوصفها "نصاً موازياً "للواقع المعاش

تعمل المذكرات في الرواية كـ "نص موازي "للنص الأصلي، حيث تفتح ثقباً عميقاً في الزمن يعود بالقارئ والطالب الباحث إلى حقبة تاريخية أشد قتامة؛ وهي حقبة الخمسينات والستينات من القرن الماضي .من خلال هذه الأوراق، يستعرض أحمد مراد كواليس تاريخية منسية، كعلاقة حسين "الزهار باليهودي "ليتو "وصديقه "سيرجيو"، وكيف بدأت فكرة القصاص السري بالسم ضد الفاسدين الأوائل في المجتمع مثل تصفية الملازم "بشر والبلطجي "محروس الفتوة ."إن هذا التوازي ليس عشوائياً، بل هو استراتيجية سردية مقصودة؛ إذ تُقدم المذكرات "الحقيقة العارية "التي حاولت الأنظمة الاجتماعية والسياسية المتعاقبة إخفاءها وتجميلها، وتتحول من مجرد مذكرات شخصية لأب مقهور إلى "صك إدانة "أخلاقي وتاريخي يلاحق الورثة

،والمجتمع الحالي، مما يضع المتلقي أمام مستويين من السرد :سرد الحاضر المضلل والمزيف، وسرد الماضي الذي يحمل جوهر الحقيقة)إبراهيم .(ص 112 ،2009

"ثانياً :التحول من "القراءة المعرفية "إلى "التنفيذ الإجرائي

كمن القوة الجوهرية والتحليلية في هذا المحور في دراسة لحظة "التحول الدرامي "في شخصية البطل طه .ففي بداية الأمر، بعد صدمة مقتل والدهt خنقاً، كانت المذكرات بالنسبة لطه مجرد وسيلة لكشف الأسرار العائلية وفهم الماضي الغامض .لكن مع تعمق الأحداث وتوالي الصدمات واكتشافه لعلبة "تراب الماس "السحرية بجوار الأوراق، بدأ طه يدرك أن هذه الأوراق ليست للقراءة العابرة أو التوثيق التاريخي الجامد، بل هي "دليل تشغيل وصناعة "لعملية القصاص البديل .هنا، تتحول المذكرات إلى أداة معرفية وإجرائية في آن واحد؛ فهي تمنحه المعرفة المطلقة)تكشف له أن هاني برجاس هو قاتل والده وهو زعيم شبكة فساد كبرى (وتمنحه الوسيلة الفتاكة)تراب الماس .(هذا التحول هو الذي يغير هوية البطل بالكامل من شاب مسالم يعيش على الهامش ويتلقى الإهانات كمندوب دعاية، إلى "قاضٍ وجلاد "يرى في دماء ضحاياه ميزاناً للحق لا بد من إقامته لحماية ما تبقى .من الشرف الإنساني)برادة، 2008، ص 88(

(Metafiction) ثالثاً :المذكرات كـ "عتبة نصية "وتقنية الميتاسرد

يتجاوز الكاتب أحمد مراد حدود الحكاية التقليدية ذات المسار الخطي الواحد، عبر توظيف تقنية "الميتاسرد "أو الرواية داخل الرواية .تتجلى هذه التقنية بشكل جوهري عبر اتخاذ مذكرات حسين الزهار عتبة نصية ومحركاً خلفياً يبني النص الموازي .إن الكاتب لم يجعل المذكرات مجرد قصاصات تُقرأ عابراً، بل جعلها نصاً قائماً بذاته، له لغته الخاصة وزمنه المنفصل وشخوصه المحملين بأوزار الماضي القديم .ويحدث هذا التداخل السردي نوعاً من "التشظي الزمني "المقصود؛ حيث ينتقل القارئ فجأة من حاضر البطل طه المأزوم في القرن الحادي والعشرين وكفاحه اليومي، ليعود عبر بوابة المذكرات الخطية إلى ما قبل عقود، بكل ما تحمله تلك الحقبة من تقلبات سياسية واجتماعية حادة .هذا الانتقال يعمل كاستراتيجية تشويق ،أكاديمية لملء الفجوات المعرفية؛ فكل جريمة أو أزمة تحدث في الحاضر، يكمن تفسيرها وشفرتها السرية في صفحات الماضي المكتوبة بخط الأب ,وبذلك تتحول المذكرات إلى عين ثانية تمنح البطل رؤية ثنائية الأبعاد تتداخل فيها الذاكرة الشخصية بالذاكرة الجمعية للوطن المكلوم)الخالدي .(ص 56 ,2020

المبحث الثاني :فلسفة "العدالة البديلة "وتفكيك منظومة الفساد

إذا كانت المذكرات التاريخية هي الأداة المعرفية التي أزاحت الستار عن الحقيقة المغيبة، فإن "العدالة البديلة "تمثل الفعل الوجودي والأخلاقي الذي أعقب تلك المعرفة مباشرة .إن مفهوم العدالة في رواية "تراب الماس "لا يرتكز على مؤسسات الدولة الرسمية كالقانون، الشرطة، والقضاء، بل يتأسس وينبثق من "الذات المقهورة "التي قررت استرداد حقها المهدور بعيداً عن أروقة المحاكم التي تآكلت نزاهتها بفعل الرشاوى والمحسوبية، وأصبحت في .نظر البطل مجرد غطاء رسمي لحماية "الفساد المحصّن) "مراد، 2010، ص 156(

"أولاً :سقوط هيبة المؤسسة وصعود "القصاص الفردي والتطهيري

يكمن جوهر الصراع الأخلاقي في الرواية في حالة العجز والشلل الكامل التي أصابت المؤسسات الرسمية، مما جعل القانون سيفاً يُشهر فقط في وجه الضعفاء، بينما يظل ذوو النفوذ والمال بمنأى عن أي محاسبة .هنا، لا يمارس البطل طه الزهار القتل بدافع السادية أو الإجرام أو التلذذ بالعنف ,بل يمارس "عدالة بديلة "يراها ضرورة تطهيرية حتمية لإعادة التوازن الأخلاقي والكوني للمجتمع .إن التحليل السردي والنفسي لهذا المسار .يكشف أن البطل تحول بتأثير صدمة مقتل أبيه من "مواطن مستسلم "تسحقه البيروقراطية الرأسمالية، إلى "فرد مستقل "يصنع بنفسه مصير الجناء ويتضح ذلك جلياً في تخطيطه وتنفيذه لجرائم القتل المتسلسلة؛ حيث يبدأ بتصفية الطاغية "هاني برجاس "بوضع مسحوق تراب الماس له في الشاي .داخل مكتبه الفخم، ليموت ببطء وهدوء قصاصاً لخنق والده القعيد)إبراهيم، 2009، ص 142(

ثانياً :تفكيك الرموز الفاسدة)شريف مراد ووليد سلطان نموذجاً(

لا يتوقف قطار القصاص التطهيري لطه عند قاتل أبيه، بل يتسع ليشمل شبكة الفساد بأكملها المذكورة في الأوراق والتي تتقاطع مع حاضره .يتجلى ذلك في تصفيته للإعلامي الشهير "شريف مراد"، وهو شخصية نرجسية فاسدة وسادية تستغل الشاشة التلفزيونية لتوجيه الرأي العام وتغطية فضائح النخبة وحماية الجناة، فضلاً عن تورطه في علاقات شائنة سرية؛ حيث يرى طه أن تصفية شريف مراد هي حماية لوعي المجتمع من التزييف الممنهج .المثال الآخر والأشد خطورة هو المواجهة مع العقيد الفاسد ورجل الأعمال "وليد سلطان"، الذي يمثل ذروة توغل الفساد داخل الأجهزة السيادية؛ إذ يمارس وليد سلطان عمليات ابتزاز قذرة ضد طه بعد أن كشف بعض أسراره، ويحاول التحكم بمصيره ومصير الفتاة "سارة) "جارة طه

التي يرتبط بها عاطفياً ويمثل معها ملاذاً إنسانياً .(إن التخلص من وليد سلطان بتراب الماس لم يكن مجرد انتقام، بل كان دفاعاً غريزياً عن البقاء .والحرية ضد سلطة باطشة تستغل القانون لشرعنة ممارساتها الإجرامية)محمود، 2015، ص 119(

ثالثاً :جدلية القانون والأخلاق

يفتح هذا المحور باباً لنقاش فلسفي معقد حول المعضلة الأخلاقية الكبرى التي يطرحها نص أحمد مراد، وهي إشكالية العدالة المطلقة في مواجهة القانون العاجز، وصراع مشروعية القانون في مقابل مشروعية الحق الصامد .فالقانون بطبيعته الإجرائية والجامدة يتطلب أدلة مادية ملموسة واعترافات رسمية، وهو ما استغلته شبكات الفساد في الرواية لتحصين نفسها خلف ثغرات النصوص والتلاعب بها .هنا يعاد تعريف مسحوق "تراب .الماس "سردياً ورمزياً بوصفه ميزان حق بديل ووسيلة صامتة لتطهير المجتمع من أورامه الخبيثة التي لا يمكن استئصالها بالطرق التقليديةتتبلور فلسفة القصاص الفردي عند طه من منطلق أخلاقي يرى أن صمت الفرد عن الفساد المحصن هو تواطؤ صريح مع الجريمة، وأن استخدام أداة غير مشروعة (القتل بالسم بدم بارد يصبح مبرراً أخلاقياً وإنسانياً إذا كانت الغاية النهائية هي استعادة الحق المهدور وحماية الأبرياء من السحق. ومع ذلك، فإن الرواية تدق ناقوس خطر مرعب إذ تطرح تساؤلاً مضمراً حول ما يحدث للمجتمع المعاصر إذا تخلى كل فرد عن القانون الرسمي وصنع عدالته الفردية بيده بناءً على قناعاته الشخصية المجرودة، مما ينذر بانزلاق المجتمع نحو فوضى دموية عارمة (برادة ٢٠٠٨، ص ١٠٥).

المبحث الثالث :المكان والزمان كفضاءات رمزية ونفسية للوعي

لا يكتفي الكاتب أحمد مراد في رواية "تراب الماس "بتوظيف فضاءي المكان والزمان كإطار هندسي أو حيز جرافي ساكن لاحتواء الأحداث البوليسية، بل يرفعهما برؤية نقدية متطورة إلى مستوى "البنية الفلسفية والدلالية الفاعلة "التي تعكس بوضوح التصدعات والاضطرابات الحادة في ،وعي البطل طه .المكان في الرواية يتحول من مجرد حيز فيزيائي إلى سجن دلالي ونفسي تتقيد فيه الحريات وتُسحق فيه الكرامة)مراد، 2010 .(ص 210

أولاً: المكان بوصفه "تجلياً للنفس" وامتداداً للهوية المأزومة

تتحول الأمكنة الجغرافية في الرواية إلى تجسيدات بصرية وحسبة لحالة طة النفسية والوجودية بين الأب القديم في شوارع القاهرة على سبيل المثال، ليس مجرد جدران وأنات، بل هو مخزن للذاكرة المكبوتة والمقيدة"، حيث كل تفصيلة فيه من رائحة الأوراق القديمة إلى الكرسي المتحرك للأب حسين الزهار تذكر البطل بخطيئة الماضي وجرح مقتل أبيه الذي لم يتدمل. وفي المقابل، تظهر فضاءات أخرى مثل الغرف الضيقة الممرات الخانقة للمستشفيات والمقابر، وأماكن ارتكاب الجرائم، بوصفها تعبيراً دقيقاً عن حالة الاختناق الوجودي والاغتراب الحاد" التي يعيشها طه كمندوب دعاية طبية مطرود وملاحق. إن المكان في الرواية يتسع ويضيق طردياً مع تطور الوعي الداخلي للبطل وقراراته فكلما اقترب طه من تنفيذ عملية قصاص جديدة واختراق أسوار حصون الفاسدين، تحول المكان المحيط به من ملاذ مألوف إلى فضاء عدائي غريب يكشف عورات المجتمع وعجزه (العيد، ٢٠٠٥، ص ٨٨)

ثانياً: التشظي الزمني والتفاعل الجدلي (ثنائية التأثير)

يعتمد البناء السردي للرواية على زمن داخلي متقطع ومنشط"، إذ يرفض الكاتب السير بالحبكة وفق خط زمني تصاعدي مستقيم أو تقليدي، بل يعتمد على تقنية الارتداد المستمر (Flashback) نحو الماضي السحيق وتحديداً لحظة الصدمة الأصلية المتمثلة في مقتل الأب أو العودة لعقود الخمسينات والستينات المنبثقة من ثنايا صفحات المذكرات. هذا التشظي الزمني يعكس بدقة عدم استقرار الوعي النفسي للبطل فهو لا يعيش الحاضر كحالة مستقلة أو أمنه بل كصدى مستمر و مقلق الجراح الماضي وأوزاره وتاريخ الفساد المكتوب وتتكامل ثنائية المكان والزمان لتصنع ما يُعرف في الدراسات السردية الحديثة بـ "فضاء الوعي المأزوم فحركة طه الفيزيائية في أزقة القاهرة ترتبط شرطياً بزمن المذكرات، فكلما واج مكاناً ذا دلالة تاريخية، استدعى فوراً شفرة من شفرات الأوراق لتنفيذ حكم القصاص. مما يمنح الرواية عمقاً نفسياً وجودياً يتجاوز نمط الإثارة الرخيصة (إسماعيل ٢٠٠١ (١١٥)

الخاتمة :قراءة تركيبية في بنية الرواية ووعي القصاص

بعد رحلة تحليلية ونقدية معمقة وموسعة في ثنايا وبنية رواية "تراب الماس "للكاتب أحمد مراد، تبيّن لنا بشكل قاطع أن هذا النص الروائي لا ينتمي بأي حال من الأحوال إلى الأدب البوليسي الاستهلاكي، بل هو نص احتجاجي واجتماعي صارم يتخذ من الجريمة والسم ذريعة فنية لتشريح أورام .الواقع ومأزق الفردويمكننا صباغة النتائج التركيبية التي خلص إليها البحث في ضوء هذا التحليل المفصل وفق النقاط التكثيفية التالية لملء هذه الورقة الأكاديمية بالخلاصات العلمية:

١ المذكرات كوثيقة بعث تاريخي وفعل وجودي حركي

أثبت التحليل النقدي أن المذكرات المكتوبة بخط الأب حسين الزهار لم تكن مجرد أوراق جامدة أو سجل لذكريات ساكنة، بل كانت فعل استعادة حركي للحق الضائع. لقد عملت المذكرات كـ ذاكرة خارجية وبوصلة إجرائية للابن طه الزهار"، حيث استطاع من خلال قراءتها المتعمقة تعويض حالة العمى الاجتماعي والتهميش التي كان يعاني منها كمندوب دعاية طبية، وتحويل الحقيقة التاريخية المنسبة من نص ميت محيا في الأدراج إلى قوة فاعلة وسلاح مدمر في يده لتهديد أركان شبكة الفساد المتمثلة في هاني برجاس وأعوانه مما يثبت دور الميتاسرد في تفعيل أحداث الحاضر.

٢ العدالة البديلة كصرخة احتجاجية ضد شلل المنظومة الرسمية

أكدت نتائج البحث أن انتقال طه الزهار من الامتثال للقانون إلى ممارسة القصاص الفردي بيده غير مسحوق تراب الماس" يمثل صرحة احتجاجية وجودية ضد عجز وشلل وتواطؤ المؤسسات القضائية والسيادية في حماية الأبرياء وسحق الرموز النافذة مثل شريف مراد ووليد سلطان). لقد قدمت الرواية تراب الماس كفلسفة اخلاقية صامتة وحادة، مفادها أن العدالة عندما تخرج من أروقة المحاكم الرسمية الملوثة بالمحسوبية، تصبح فعلاً فردياً يتسم بالدقة والبرود لحماية المجتمع وتطهيره من أورامه مع بقاء التساؤل الفلسفي المقلق حول خطر الفوضى قائماً.

٣ الفضاء الرمزي للمكان والزمان كمراة للأغتراب والتصدع النفسي

أوضح البحث أن المكان والزمان في الرواية هما فاعلان دراميان بامتياز وليسا مجرد إطار هندسي فالمكان الشقق الضيقة شوارع القاهرة المقابر يمثل حاضنة ملموسة للظلم والاختناق الوجودي للبطل، بينما يمثل الزمان المتشظي والمتقطع دوائر من التكرار والارتداد القسري نحو صدمة مقتل الأب وتاريخ الفساد، مما خلق حالة من الضغط النفسي الحاد دفع البطل حتماً نحو تبني خيار القصاص الفردي كسبيل وحيد لتفكيك هذا التلازم الخانق واستعادة هويته المسلوبة.

التوصيات الأكاديمية والبحثية للمستقبل

في ضوء ما توصل إليه هذا البحث من نتائج وخلاصات نقدية، يوصي الباحث بضرورة توسيع وتعميق دائرة الدراسات الأكاديمية المستقبلية التي تتناول أدب القصاص" و"الرواية البوليسية والاجتماعية العربية المعاصرة" ليس من منظور فني وتقني بحث، بل من منظور سوسيولوجي وفلسفي ونفسي متكامل: وذلك لدراسة كيف تعكس هذه النصوص المعاصرة التصدعات الهيكلية في المجتمع العربي، ومحاولات الفرد المستمرة للبحث عن عدالة بديلة وشرعية مفقودة في ظل الأزمات المؤسساتية المعقدة

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم، عبد الله .السردية العربية المعاصرة :تقنيات السرد وبنية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2009
٢. إسماعيل، عز الدين .اللغة والإبداع الفني :دراسات في نقد الأدب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001
٣. برادة، محمد .الرواية العربية والذاكرة التاريخية :صراع الهوية والوجود، دار الفنون والآداب، بيروت، 2008 .
٤. الطيب، عبد الله .المرشد إلى فهم الأدب العربي وصناعته الفنية، دار الفكر والطباعة، بيروت، 2009
٥. العيد، يمنى .تقنيات السرد الروائي في ضوء المناهج النقدية الحديثة، دار الفارابي، بيروت، ط3، 2005
٦. حسين محمود المرجعية السياسية والاجتماعية في الأدب العربي المعاصر دار الهلال القاهرة ٢٠١٧
٧. الخالدي، سليم. تقنيات السرد الاسترجاعي والتشظي الزمني في الرواية الحديثة. مكتبة الأمة للنشر، عمان، ٢٠٢٠
٨. عز الدين أحمد بنية اللغز وتطور الرواية البوليسية العربية، دار المعارف الأدبية. الإسكندرية، ٢٠١٢.
٩. محمود منى التحليل النفسي والاغتراب الاجتماعي في الرواية العربية الحديثة. مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة ٢٠١٥
١٠. مراد، أحمد .تراب الماس)رواية(، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ,.2010
١١. منصور، نادية تداخل الأجناس الأدبية والهجنة الأجناسية في السرد المعاصر دار المعرفة والطباعة تونس ٢٠٢١
١٢. سليمان خالد دلالات المكان والفضائيات الرمزية في الرواية العربية الحديثة، دار المناهج للنشر، عمان، ٢٠١٨